ثانيًا: الخصائص العامة للإسلام

" المدخل وفيه:

- المراد بالخصائص.
- تعريف الاسلام.
- المناهج الموجودة على وجه الارض.

" الخصائص العامة:

- الخصيصة الاولى: دين الهي.
- الخصيصة الثانية: دين شامل.
- الخصيصة الثالثة: دين الفطرة.
- الخصيصة الرابعة: الوسطية.
- الخصيصة الخامسة: دين العلم.
- الخصيصة السادسة: دين الأخلاق.

الخصائص العامة للإسلام

الخصائص[١]:

الميزاتُ والصفاتُ التي ينفرد بها دينُ الإسلامِ عن غيره من الديانات والمناهج الأخرى.

وأما الإسلام: فهو الاستسلامُ لله بالتوحيدِ والانقيادُ له بالطاعةِ والبراءةُ من الشرك وأهلِهِ.

الإسلامُ هو الدينُ الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين وأخبر سبحانه أنه لا يقبل من أحدٍ سواه، فقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقد عرفه النبيُّ ﷺ في حديثِ جبريل عليه السلام وفيه أركانُ الإسلام حيث سأله فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجّ الْبَيْتَ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقْتَ[٢].

ولا شكَّ أن دينَ الإسلام هو الدينُ الحق المنزلُ من عند الله تعالى، وهو منهجُ الحياةِ المتكاملِ القائمِ على ما جاء في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من

---

(١) لسان العرب: مادة «خصص». (٧/ ٢٥).

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري؛ كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم (٥٠). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... رقم(١٠).

بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وما ثبت من سنة نبي الهدى ﷺ، وذلك خلافًا لما سواه من المناهج والأديان الأخرى، ولعل عَرْضًا عامًّا لتلكم المناهجِ القائمةِ بين الناس على هذه البسيطة يُجَلِّي الصورةَ ويوضِحُها.

المناهج الموجودة على وجه الأرض:

إن النظمَ القائمةَ كلَّها -عدا دين الله تعالى الإسلام- لا تخرجُ عن أحدِ هذه الأصناف الثلاثة[١]:

الأول: منهجٌ ديني محرَّف، فهو إلهيٌّ في الأصل، وله كتابٌ سماوي من عند الله ﷻ، ولكن دخله التحريفُ والتبديل، والحذفُ والزيادة، فاختلط فيه كلامُ الله تعالى بكلامِ البشر وأهوائهم، ومثاله: **اليهودية**[٢] **والنصرانية**[٣].

الثاني: منهج دينيٌّ بشري، فهو ديني لأنَّ فيه القيامَ بأداءِ طقوس تَعَبدٍ وتألهٍ يؤديها الإنسانُ لمألوهٍ أو لعددٍ من الآلهة؛ من بشرٍ وحجرٍ ومالٍ وهوى وشهوةٍ وغير ذلك، وقد لا يكونُ فيها صلاحُ حالِ هذا الإنسان ولا تنظيمُ حياته؛ وإنما طقوسٌ غامضة أو مُرْعبة.

---

(١) انظر نحو ذلك في: مدخل لمعرفة الإسلام (١٣٦). والخصائص العامة للإسلام (٣٨).

(٢) **اليهودية**: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه الصلاة والسلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه الصلاة والسلام مؤيدًا بالتوراة ليكون لهم نبيًّا، وبيَّن الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم أنهم حرّفوا وبدَّلوا كلام الله تعالى. انظر الموسوعة الميسرة: (١/ ٥٠٠).

(٣) **النصرانية**: هي الرسالة التي أنزلت على نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، مكملة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، وقد تعرض الإنجيل للتحريف والتبديل كما ذكر الله تعالى ذلك في القرآن العظيم،

وهو دينٌ بشريٌّ لأنه من صنع البشر، فليس له أصلٌ من عند الله تعالى، ومن أمثلة ذلك: **الهندوسية**[١]، **البوذية**[٢]، **عبادة الشيطان**[٣]، **عبادة الأصنام**، وغيرها.

الثالث: منهج مَدَنيٌّ بشري خالص. فهو مدني لأنه نظامُ حياةٍ دنيوية؛ يُعنى بتنظيمِ حياةِ الإنسانِ الدنيوية وتحقيقِ مصالحه وفقَ ضوابطَ وقيودٍ دنيوية، وبَشَريٌّ لأن مصدره البشر، أفرادًا أو جماعات، فهو نتاجُ تفكيرِ الإنسانِ واجتهادِهِ وتنظيرِه، ومن أمثلة ذلك: **العلمانية** (Secularism)[٤]، **الشيوعية**[٥]، **الرأسمالية**[٦]،

---

(١) **الهندوسية**: ديانة وثنية، نشأت قرابة القرن الخامس عشر قبل الميلاد، يعتقدون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهًا يُعبد؛ وهي آلهة كثيرة، وهم إذا أقبلوا على إله من الآلهة أقبلوا عليه بكل جوارحهم حتى تختفي عنهم كل الآلهة الأخرى، يلتقي الهندوس على تقديس البقرة. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٧٣٤).

(٢) **البوذية**: هي ديانة الهند في القرن الخامس قبل الميلاد. كانت متوجهة إلى العناية بالإنسان، وفيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف، والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. أسسها «**سدهارتا جوتاما**» الملقب بـ«بوذا» أي العالم المستنير، ولما مات ألَّهه أتباعه، فهم يعتقدون: أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلِّص للبشرية من مآسيها وآلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٧٦٨).

(٣) **عبادة الشيطان**: ظهرت في خضم الوضع الشهواني العالمي، وتتمثل قيم هذه الفئة في الضياع وتغليب الممارسات الجنسية والرقص، ولهم كتابهم الديني وهو كتاب «الشيطان»، من تأليف الأمريكي اليهودي ليفي، المؤسس لكنيسة الشيطان بسان فرانسيسكو، بالولايات المتحدة، وهم يريدون أن تكون الحياة من غير قيود الأخلاقيين، ويرون أنه آن أوان التخلص من الأخلاق؛ لأنها عنصر تعويق وليست عامل دفع وترقية، وهم يرتدون الثياب السوداء، ويرسمون وشم الصليب المعقوف أو نجمة داود على صدورهم وأذرعهم. انظر: عبَّاد الشيطان؛ أخطر الفرق المعاصرة.

(٤) **العلمانية وترجمتها الصحيحة**: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين، وقد ظهرت في أوربا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، ومدلول العلمانية: عزل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع، وإبقاؤه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٦٨٩).

(٥) **الشيوعية**: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، الملكية الخاصة، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وانجلز. الموسوعة الميسرة: (٢/ ٩٢٩).

(٦) **الرأسمالية**: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها؛ بالبحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب، ويدعو إلى الحرية السياسية والأخلاقية والاجتماعية المطلقة. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٩٢٠).

الوجودية[١]، وغيرها كثير.

هذه هي المناهجُ القائمة بين يدي البشر على وجه الأرض، **ويبقى الإسلام وحدَه بصفائه ونقائه وسموه وكماله من بين سائر المناهج والأديان هو** القادرُ على البقاءِ في خِضَم الصراعات الثقافية والفكرية والحضارية؛ لأنه يمتلكُ خصائصَ تؤهله لذلك، ويكفي وعدُ الله العليم الخبير القوي القادر بأنَّ العاقبةَ للمتقين، يقول جل وعلا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٨-٩][٢].

وإنَّ أحداثَ الأيامِ الحالية وما تبع أحداثَ الحادي عشر من سبتمبر من تطوراتٍ واضطرابات في العلاقاتِ العالمية بين الحضارات، لمما يحتاجُ لوقفةٍ نرى من خلالها مصداقَ كلام ربنا جل وعلا، ففي الوقتِ الذي تتجه سهامُ الاتهام والتشويه لدينِ الإسلام، من خلال دراساتٍ علمية ونفسية للتعرف على الإسلام، والتعرفِ على الطرق الأكثر أثرًا في تشويهه وتنفيرِ الناس منه، وتبنِّي وسائلَ إعلاميةٍ قويةٍ ومؤثرة مهمةَ القيام بدورِ التنفيذ لنتائجِ تلك الدراسات، بالرغم من كل ذلك يبقى الواقعُ دليلًا على عظمةِ هذا الدين، وقوته المؤثرة في العالمين، فمع كلِّ هذه الجهود الإبليسية ينتشرُ الإسلامُ بشكلٍ أقوى مما هو عليه

---

(١) **الوجودية**: مذهب فلسفي أدبي ملحد، يرتكز على الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة، وأن للإنسان أن يثبت وجوده كما يشاء، فكل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيمًا أو أخلاقًا على الآخرين. فالوجودي الحق هو الذي لا يقبل توجيهًا من الخارج، إنما يسيِّر نفسه بنفسه ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود. انظر الموسوعة الميسرة: (٢/ ٨٩٨).

(٢) كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٢-

قبل هذه الأحداث، وهذا نورُ الله، واللهُ تعالى متمُّ نورِه ولو كره الكافرون[١].

وفي حوارٍ مع المستشرق الأيرلندي الدكتور ألفريد وايزمان -أستاذ الحضارة والعلوم الاجتماعية الذي أصدرَ أهمَّ مجلةٍ استشراقية متخصصة في أوروبا وهي مجلة «**حضارة الشرق**»، حين سئل عن مستقبلِ الإسلامِ في الغرب، فقال: **الإسلامُ دينُ المستقبل، لو أحسن المسلمون عرضه**، بسبب وضوحِه الشديد، وعدم اصطدامِه بالعلم والحضارةِ والرقي، وإعمالِه العقلَ والتفكيرَ، ودعوتِه للتطويرِ والارتقاءِ الحضاري، وخلوِّه من التناقضات اللامعقولة.

ففي غَمْرةِ ما تعرض له المسلمون في أميركا بعد أحداث ١١ سبتمبر الماضي من أذىً معنويٍّ ومضايقاتٍ سياسيةٍ واجتماعية ومالية،... هيأ ما يشبه الصحوةَ في ضميرِ الأميركيين وعقولهم، وإن جاءت متأخرة، في محاولةٍ جادةٍ للتفهُّمِ والتبصر والتأمل بخلفياتِ وبواعث ما حدث ماضيًا وحاضرًا.

ومن المؤشرات البارزة على تلك الصحوة التي ما زالت قائمة إلى اليوم إقبالُ الأميركيين على زيارةِ المساجدِ والمؤسساتِ الدينية والثقافية، واستضافةُ بعض المحطات التلفازية لبعضِ الشخصياتِ الإسلامية والأميركية للحديث عن القضيةِ الفلسطينية والانتفاضة. التي تعرضت إثرَ ذلك إلى انتقاداتٍ عنيفةٍ من قِبَلَ اللوبي الصهيوني.

كذلك التهافتُ الواسعُ على شراء نسخٍ من القرآن الكريم التي نفدت من الأسواق بسبب المنافسة على الشراءِ وغيرها من المؤلفات التي تتعلق بالعقيدة والتاريخ والحضارة الإسلامية.

---

(١) في مجلة الوعي الإسلامي، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، في العدد «٤٩٣»، الصادر في ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.
http://alwaei.com/topics/view/article.php?sdd=١٣٩&issue=((٤٤٤))

ولئن اختلفت دوافعُ الأميركيين وراء تهافتهم على شراءِ الكتبِ الإسلاميةِ، فإن ذلك -بالتأكيد- سوف يصب في صالح الإسلام.

وفي حوار مع الدكتور فرانسوا بورجا، نشرته مجلة «لافيريتي» الفرنسية، ونشرت مجلةُ المجتمع ترجمةً له؛ قال: طرحتم السؤالَ الأول عن أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وأريد أن أقولَ لكم إن الغربَ استطاع بعد تلك الأحداث مثلًا أن يتعرفَ على الإسلام أكثر مما كان متاحًا في وقت آخر. في فرنسا اعترفت دُورُ النشر الكبيرة أن الكتبَ الأكثرَ رواجًا في السنواتِ الأخيرة هي التي تناولت الإسلامَ، وهذا أسميه اهتمامًا كبيرًا بالإسلامِ ليس في فرنسا بل وفي أوروبا وأمريكا نفسها.

أمريكا نفسُها اعترفت أنَّ مليونَ شخصٍ اعتنقوا الإسلامَ منذ سبتمبر ٢٠٠١ وهو رقمٌ لم تحسِبْ له الأجهزةُ الأمنية الأمريكية حسابًا لأنها لم تتوقعْه، ولكنه حدث، الناسُ صاروا أكثرَ اهتمامًا بالإسلام، وثمة من اعتنق الإسلامَ لأنه وجدَ فيه ما فقده في الحضارةِ الغربية القائمة على المادة[1]، حيث وجدوا فيه الخصائصَ التي لا توجد في أي دين آخر.

* * *

(١) انظر موقع المختار الإسلامي، إشراف الدكتور عوض القرني.

الخصيصة الأولى:

دين إلهي

الإسلامُ دينُ الله ﷻ الذي ارتضاه للعالمين، وهذه الخصيصةُ أعظمُ خصائصه وأُسُّها؛ فما سواها من الخصائص نتيجةٌ لها وثمرةٌ من ثمارها.

دينٌ أنزله اللهُ تعالى على نبينا محمدٍ ﷺ، وتكفَّلَ بحفظِهِ ونَصْرِه وإظهارِه على الدينِ كله.

دينٌ من عند الله تعالى مصدرُهُ القرآنُ العظيم والسنةُ المطهرة الصحيحةُ، القرآنُ كلام الله المنزل على رسولِهِ محمدٍ ﷺ. وقد حفظه الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

والسنةُ المصدرُ الثاني وحيٌ من عند الله تعالى كما قال جل وعلا عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

وبيَّن الله تعالى مهمةَ النبيِّ محمد ﷺ وهي إبلاغُ دينِ الله إلى الناسِ، فقال جل وعلا: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [العنكبوت:١٨، النور:٥٤].

فهو ﷺ واسطةٌ في إبلاغِ شريعة الله تعالى من الله سبحانه إلى خلقه وبيانها لهم.

والله جل وعلا يقول في آية محكمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

وجانبٌ آخرُ من إلهيةِ هذا الدين؛ فكما أنَّ مصدَره من عند الله تعالى **فكذلك** غايتُه وهدفُه **تحقيقُ مرضاة الله ﷻ والقيامُ بعبادته**، فهذه الغايةُ التي من أجلها

خلق الله الجن والإنس، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

ولهذه الخصيصة ثمراتٌ منها:

١- أنه يبينُ الحقائقَ الكبرى التي لا يستطيع الإنسانُ معرفتها إلا بالوحي المعصوم؛ كمعرفةِ الخالق ﷻ، وصفاتِه وأمرِه ونهيه، وبدايةِ الخليقةِ والغايةِ من خلق الإنسان.

٢- **أنه دينٌ من عند الله تعالى سالمٌ من النقص والتعارض والهوى والحَيْفِ والظلم**، فهو شرعُ الله العليم الخبير سبحانه، الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء، يقول الله تعالى مبينًا عظمةَ دينِه واتفاقَ تشريعاتِه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

٣- **موافقته للعلمِ الصحيحِ، والعقلِ السليمِ**، فهو دينٌ يعتني بالعلمِ ويمجِّد العلماءَ، ويحترمُ العقلَ ويخاطبُ عقولَ العقلاء. وقد بين جل وعلا مكانةَ العلمِ والعقلِ ومنزلةَ أهلهما فقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

٤- **تحريرُ الإنسانِ من عبوديةِ الإنسانِ والهوى**؛ فيخْلِصُ في عبادته لله رب العالمين سبحانه وتعالى، ويعمل وفق شرعه وتوجيهه وأمره ونهيه.

عندما نزل قولُ الله تعالى عن اليهود والنصارى ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]. سمع عديُّ بن حاتم رضي الله عنه النبيَّ ﷺ يقول: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا**

اسْتَحَلّوهُ، وَإِذَا حَرّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرّمُوهُ»[١].

وكما قال ربعيُّ بنُ عامرٍ رضي الله عنه بين يدي رُسْتم قائدُ جيوشِ كسرى: «إنَّ اللهَ ابتعثنا لنخرجَ من شاءَ من عبادةِ العبادِ إلى عبادةِ الله، ومن ضيقِ الدنيا إلى سعتِها، ومن جَوْرِ الأديانِ إلى عَدْلِ الإسلام»[٢].

٥- **تلبيةُ مطالبِ النفسِ البشرية**، وذلك بتشريع ما يَصْلُح لها وما يُصلحها، فهو دينُ الله الذي خلق الإنسانَ ويعلمُ ما يتناسبُ معَ هذه النفسِ البشرية: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم(٣١٩٧). وقال:حديث غريب. وحسنه الألباني.

(٢) البداية والنهاية، (٧-٤٧).

الخصيصة الثانية:

دينٌ شامل

شرع اللهُ سبحانه وتعالى للأمةِ دينًا شاملًا في أحكامهِ وتشريعاتهِ للثقلين من الجن والإنس، ولكلِّ تصرفاتهم وعلاقاتهم، حيثما كانوا؛ فوق أيِّ أرضٍ وتحت كلِّ سماء. يقول المولى جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، فهو «دينٌ ودولة، وهو عقيدةٌ وعبادة، وهو حكمٌ وقضاء، وشريعةٌ وقانون، ومصحفٌ وسيف، وجهادٌ ودعوة، وسياسةٌ واقتصاد، وعلمٌ وخلق وتوجيه»(١).

وتتضح شمولية الإسلام في صور منها:

١ - أنه **دينٌ شاملٌ للثقلين**: الجنِّ والإنس. فأما الإنسُ فظاهرٌ في نصوص القرآن العظيم، يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وأما الجنُّ فيقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

٢ - **أنه دين شاملٌ للزمان كله**؛ من بعثة نبينا محمدٍ إلى قيامِ الساعة.

٣ - **دينٌ شاملٌ للمكان**؛ فليس خاصًا بإقليم دون آخر، ولا بأمةٍ دون أخرى؛ شمولية مكانية؛ يطالب بهذا الدين كلَّ البشرِ في أيِّ مكانٍ ومن أيِّ أمةٍ، ويتأكد بها أن المسلم مطالبٌ بتنفيذ أحكامِ دينِ الله تعالى في كلِّ مكانٍ.

٤- **دينٌ شاملٌ للإنسان** في مراحلِ حياته المختلفة، وفي علاقاته المتعددة، يوجهها إلى ما فيه صلاحُه ورفعته وحفظه وهدايته.

٥- **دين شامل لحركةِ الكونِ والحياةِ**، يراعيها في أحكامهِ وتشريعاتهِ، فلا تنفكُّ الأحكامُ الشرعيةُ عن حركةِ الكونِ بأفلاكه وأجرامه، وليلهِ ونهارهِ، وحرِّه وقرِّه، **فهناك عباداتٌ مرتبطةٌ بحركةِ الشمس**؛ كالصلواتِ الخمس والسَّحورِ والإفطارِ، **وعباداتٌ مرتبطة بدورةِ القمر**؛ كالصيام والحجِّ وغير ذلك، فيراعي ذلك في بيان مهمة الإنسانِ تجاهها ودورِه نحوها، وتوجيهه إلى ما فيه عمارتُها وصلاحُها، **فالكونُ والخلق كلُّه لله سبحانه وتعالى:** ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:٦].

٦- **دين شامل في توجيهِ نظرِ الإنسانِ إلى الدنيا والآخرة** فهما داران متكاملتان، للإنسانِ في كلٍّ منهما نصيبٌ، فالدنيا مزرعةٌ للآخرة، يزرعُ فيها ما يرغب جَنْيَه في الآخرة. يقول الله جل وعلا: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧].

وبهذا يتأكد للمسلم أنه ما من شأن من شؤونه ولا تصرُّفٍ من تصرفاته إلا ولله تعالى فيه حُكْمٌ وقضاء، وأن دينَ الإسلامِ منهجُ حياةٍ مُهَيمنٌ على كلِّ تصرفاتِ الإنسان، فيُرَدُّ بذلك على كلِّ من يعترضُ على نظرةِ الإسلامِ الشموليةِ لشؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية وغيرها؛ ممن يرددون مقالاتٍ مستوردةً؛ كقولهم: «**ما لله لله وما لقيصرَ لقيصر**»، وقولهم: «**لا سياسةَ في الدين، ولا دينَ في السياسة**»، ويقالُ لهم بأنَّ لله كلَّ أمر ونهي وتدبيرٍ وحُكْمٍ وقضاء، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، ويقول جل وعلا: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤].

وقد أنكر الإسلامُ أشدَّ الإنكار على من يأخذُ من الدينِ ما يَهْوَى، ويَدَعُ ما لا يوافق هواه، وينسى أن الإسلامَ كلٌّ لا يتجزأ، يقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

* * *

الخصيصة الثالثة:

دينُ الفطرة

والمراد بالفطرةِ الابتداءُ والاختراعُ، والمعنى في قوله: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**» أنه يولد على نوعٍ من الجِبلَّة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو تُرِكَ عليها لاستمرَّ على لزومِها ولم يفارقْها إلى غيرها، وإنما يعدلُ عنه من يعدل؛ لآفةٍ من آفاتِ البشر والتقليد[1].

فالإسلامُ هو الدينُ الذي جَبَلَ اللهُ الناسَ عليه وهيأهم لقبوله والعمل به. **فلا يتعارضُ مع طبيعةِ الإنسانِ ولا يتضادُّ مع رغباته**؛ بل يتفقُ معها ويوجهها ويرشدُها إلى الأصحِّ والأسلم، فلو تجردَ الإنسانُ من الهوى والعنادِ، لاعترفَ بدينِ الإسلام وأنه الدينُ الحقُّ... ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ. كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ.هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**». ثُمّ يَقُولُ أَبُوهُرَيْرَةَ: وَاقْرَأوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[2].

فاللهُ جل وعلا خلقَ الناسَ حنفاءَ كلَّهم، ثم اجتالتهم شياطينُ الجنِّ والإنس فصرفتْهم عن الحقِّ والهدى والفطرةِ السليمةِ، ففي حديث عِياض ابن

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٥٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله. رقم (٤٤٩٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب كل مولود يولد على الفطرة، رقم(٢٦٥٨).

حمارٍ المجاشعي رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال ذاتَ يومٍ في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا..وفيه: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ؛ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»... الحديث[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل

الخصيصة الرابعة:

الوسطية

وهي العدلُ والفضلُ والخيريةُ والتوازنُ، فالإسلامُ **دينُ الوسط** في كلِّ الأمورِ عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، وهو **وسطٌ بين غلوِّ الديانات** الأخرى وتَفريطها، وهو **وسطٌ** يجمعُ بين مطالبِ الروح والجسد والفرد والمجتمع، فلا يُغَلِّب جانبًا على آخر إلا بما يتناسب مع صلاحِ الروحِ وسلامةِ الجسدِ وفلاحِ الفردِ وإصلاحِ المجتمع.

وكما يأمرُ بالعبادة والعملِ للدار الآخرة يوجِّه إلى السعيِّ في طلبِ الرزقِ والمعاش في الدنيا، ويعتبر ذلك عبادة ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧].

إن أمةَ الإسلام أمةٌ وَسَطٌ، شَهِدَ لها بذلك خالقُها سبحانه وتعالى ورتَّبَ على ذلك مكانتَها ومنزلتَها ودورَها في هذا الكونِ، وبين الأمم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

فقوله سبحانه **(وسطًا)** أي عَدْلًا، وَوَسَطُ الشيء أو أَوْسَطُهُ بمعنى **أفضلُه وأعدلُه وخيارُه**[(١)]. يقول الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى: «**إنما وصفهم الله -تعالى ذكره- بأنهم وسط لتوسُّطِهم في الدين**»[(٢)].

ونماذجُ وسطيةِ الإسلامِ كثيرةٌ، وليس المجالُ لذكرها ولكن نعرِضُ لبعضِ الصورِ التي تدلُّ على شيءٍ من ذلك:

---

(١) لسان العرب: (٧/ ٤٢٧).

(٢) جامع البيان (٢/ ٦).

١- عن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ فلما أُخْبِروا، كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبيِّ ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدُهم: أما أنا فإني أُصلي الليلَ أبدًا. وقال آخر: أنا أصومُ الدهرَ ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَالله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

٢- **ورأى النبيُّ ﷺ حبلًا ممدودًا بين ساريتين فسأل عنه**، فأخبر أنه لزينبَ تتمسكُ به إذا كَسِلَتْ عن الصلاة، فأمر ﷺ بإزالته وقال: «**لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**»(٢).

٣- وحديث عبد الله بن عمرو(٣) رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «**يَا عَبْدَ الله، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**فَلاَ تَفْعَلْ؛ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**».

وحينما نذكر وسطيةَ الإسلامِ من خلال هذه الأحاديث والمواقفِ وغيرها، يجب علينا ألاَّ ننسى ما يقابل ذلك وهو التفريط، فكما ذمَّ النبيُّ ﷺ هذا الغلوَّ،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم(٤٧٧٦) ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، رقم (١٤٠١).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم (١٠٩٩). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، رقم(٧٨٤).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، رقم(٤٩٠٣). ومسلم، كتاب

وطلبَ الزيادةِ في العمل تعبدًا لله ﷻ، فإن ذلك يعني التنبه للمقابلِ وهو الوقوعُ في التفريطِ والتركِ لشيءٍ مما شرعَ اللهُ تعالى؛ كتركِ الفرائض ومواقعةِ الذنوب والاستهانةِ بالمعاصي: فكلا طرفي الأمرِ خطأٌ ومخالفٌ لدين الله تعالى؛ الزيادةُ غلوٌّ في دين الله تعالى، والتركُ تقصيرٌ في حق المولى جل وعلا.

وشريعةُ الله تعالى هي الوسطُ القائمُ على أداءِ ما شرع الله تعالى من غير تفريطٍ ولا إفراطٍ.

* * *

الخصيصة الخامسة:

دين العلم

للعلمِ في الإسلام مكانةٌ سامية، ويكفي دلالةً على ذلك أن أول كلمةٍ نزلت من عند الله تعالى على نبي الهدى ﷺ، هي قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾.

دينٌ يحترمُ العلمَ ويجلُّ العلماء، ويرى أن العلمَ طريقٌ للخشيةِ والخضوعِ والانقيادِ لأمرِ الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

دينٌ يرفعُ من شأنِ العلم: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

وآياتُ القرآنِ العظيم توجِّه إلى التفكرِ والتدبرِ والنظرِ، وإعمالِ العقلِ واللُّبِ في الوصول إلى الحق والصواب.

ولهذا ختمَ اللهُ تعالى كثيرًا من الآيات بالأمر بذلك والحثِّ عليه، كما في قوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾، ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقد أرشدَ اللهُ تعالى في القرآنِ العظيم إلى أن الكونَ بحقائقه يتفقُ مع ما جاء في القرآن العظيم، **وأن العلمَ الصادقَ يزيدُ الإيمانَ في النفس**، فقال جل وعلا: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ

هذا هو العلمُ وهذا شيءٌ من موقف الإسلام منه، مطلبُ العلمِ الماديِّ الذي تحتاجه الأمةُ وتستغني به عن سواها من الأمم الكافرة واجبٌ من الواجبات، وذلك لما يترتب عليه من استقلالِ الأمةِ وغلبتِها وتمكنِها من الصناعةِ والإنتاج.

والإنسانُ مهما بلغ في درجاتِ العلمِ الماديِّ البحت فإنه لا يزالُ قاصرًا عن أنْ يحيطَ علمًا بكلِّ شيءٍ، فالله تعالى يخبر عن ذلك فيقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

وقد أثر ذلك تأثيرًا حضاريًّا قويًّا في الأمة، وكان ذلك بدافعٍ من الدين الإسلامي الذي شجَّعَ العلمَ، وقدَّر العلماءَ ودعا إلى التأملِ والتفكرِ والتجريب، وأوروبا مدينة لهم بذلك»[1].

ولهذا فهناك فرقٌ شاسع بين موقفِ الإسلام من العلمِ وخاصةً العلومَ التجريبيةَ وموقفِ الكنيسة من ذلك، خاصة ما كان في أوربا قبل الثورةِ الفرنسية، وسيطرةِ الكنيسة ورجالاتها على عقولِ الناس وتفكيرِهم، وتحريمِها كلَّ محاولةٍ للتحرر من العبوديةِ لرجال الكنيسة. وما نتج عن ذلك من الثورةِ على الكنيسة. **بينما الإسلامُ قام أصلًا على العلمِ والتوجيه إليه والتحاكمِ إليه، فلا يصحُّ عقلًا ولا واقعًا إسقاطُ أخطاءِ الكنيسةِ الباطلةِ على دينِ الإسلام**، وادعاءُ أن الدينَ الإسلاميَّ عائقٌ عن العلم ومانعٌ من التقدمِ التقني والصناعي. وإنْ كان ذلك منهاجٌ لمن لا معرفةَ عندَه، أو من كان قصدُه غيرَ الحقِّ.

وإن المطّلعَ على قراراتِ المجامع العلمية -وخاصة ما يختصُّ منها بالإعجازِ

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق (٧٠).

العلميِّ في القرآنِ والسنة- وما توصل إليه العلماءُ من حقائقَ علميةٍ[1] تتطابقُ مع ما جاء به الخبرُ في دينِ الله تعالى، يرى إعجازَ دينِ الإسلام؛ فيجدُ في ذلك الطمأنينةَ والثقةَ والأنسَ بأن اللهَ تعالى أنعمَ عليه بالهدايةِ للإسلامِ، وأكرمه باتباعِ سيرةِ خيرِ الأنام، محمد عليه الصلاة والسلام.

وحيث إننا نعيشُ عصرَ حضارةٍ ماديةٍ طغت على مشاعر الإنسانِ وشغلت أحاسيسَهُ، فإن نعمةَ الله تعالى على أمةِ الإسلامِ في أن يتواكبَ هذا الدينُ بأصولِهِ مع مقتضياتِ المرحلةِ وتظهرُ دلائلُ الإعجازِ وإقامةُ الحجةِ على الناسِ في صورٍ ظاهرةٍ وصريحةٍ، لا يمكنُ لأيِّ بشرٍ أن ينكرَها ولا أن يتنكرَ لها، لهي دلائلُ على عظمةِ هذا الدين وعنايتِهِ بالعلمِ، ولهذا فتجدرُ الإشارةُ إلى بعضٍ من الصور الدالةِ على هذا الأمر المهم، مما تتجلى فيه صورُ الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ العظيمِ والسنة النبوية المطهرة، وتكون الإشارة دون التفصيل، فمن ذلك:

علمُ الفلك وما في هذا الكون الفسيحِ من عظيمِ صنعِ الله تعالى، وما توصل له البشرُ من حقائقَ سبَقَ إليها الإسلام.

الأرضُ وما طرأ عليها من تغيرات، وحركةِ دورةِ الماءِ فيها، والجبالُ وتثبيتُها للأرض، والشمسُ والقمرُ وجريانُهما كلٌّ في فلكٍ يسبحون.

الإنسانُ وخلقُهُ، وما في ذلك من حقائقَ جاءت صريحةً في القرآن الكريم، ووقف على بعضها المكتشفون من الغربيين والشرقيين، كعلم الأجنَّةِ وما فيه، ومراحلِ خلقِ الإنسانِ، وطبيعتِه ونفسِه ونهايتِه.

---

(١) لا يخفى على مسلم أن دين الله تعالى حق وصدق، وأن ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الثابتة حق لا يرتاب فيه، وأن ما يرد من بحوث ودراسات في هذا الباب فيه الحق البين الواضح، وفيه ما يتكلف له

عالمُ البحار، وأمواجه، ووجود الماء العذب في أماكنَ من البحارِ المالحةِ لا تمتزج، وتمايز مياهِ الأنهار عند اختلاطها، بمياه البحارِ، فلا يطغى ماءُ البحرِ على ماءِ النهر. وكلُّ ذلك العلمِ مع أنَّ رسولَ الله ﷺ ما رَكِبَ بحرًا ولا عاش قربَ شاطئٍ.

إلى غير ذلك من دلائلِ الإعجازِ وبراهينِ الحق التي تقومُ على البشر في صدقِ ما جاء به رسولُ الله ﷺ.

ولنعرضْ لذكرِ أمثلةٍ مختصرةٍ على الإعجازِ العلميِّ في الكتابِ والسنةِ:

ومن نماذج ذلك الإعجاز:

* أسلم بعضُ الفلكيين لَمَّا سَمِعَ قولَ الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦]، وقال تصديقًا لهذه الآية: حقًّا إننا لا نرى إلا مواقِعَها القديمةَ التي لم يصلْنا ضَوْءُها إلى الآن لبعدِها عنا وهي تحركتْ عنها الآن، وأن التشكيلة المرئية إنما هي صورة لمواقعها.

* إخبارُ الله بضيقِ التنفسِ عند الصعودِ إلى أعلى «**الضغط الجوي**»، يقول سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]، فهذه حقيقةٌ علميةٌ حديثة.

* أخبر اللهُ عن موجين في البحار: الموج الذي نراه، وموج آخر داخل البحار لم يكتشفه العلماء إلا حديثًا، فقد قال سبحانه: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]. ولما سمع بحار إنجليزي بهذه

الآية سأل هل ركب محمدٌ البحر؟ فلما قيل له: لا. آمن على الفور، وقال: إن ما ذكره محمدٌ ﷺ إنما هو من عندِ الله، وليس من تلقاءِ نفسِهِ.

* **ومما ذكره اللهُ عن البحر:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٥٣]، فلا تختلطُ مياهُ البحارِ ولا تطغى على مياهِ الأنهار مع أنها تلتقي، بل جعلَ اللهُ حاجزًا طبيعيًّا يمنعُ انتقالَ الملح إلى مياه الأنهار حتى في حالات المد.

* **مراحلُ خلقِ الإنسانِ بدءًا بأصله وهو من تراب ثم أحوال الجنين في بطن** أمه، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

وجاء الطب الحديث بما يوافق تلك الحقائقَ التي نزلت على النبيِّ ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا، حتى أسلم عددٌ من علماءِ الأجنة.

* **أخبر الله سبحانه عن بدايةِ الأرضِ وأنها كانت ملتصقةً مع الشمسِ ثم انفصلتا،** وأن الماءَ أصلُ كلِّ حياةٍ، ودورُ الجبال في ثباتِ الأرض، وحفظ توازنها، وجريان الشمس والقمر كلٌّ في فلك يخصه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠-٣٣][1].

فهذه آيات الله تعالى مسطورةٌ في كتابه العظيم، ومبثوثةٌ في سنة نبيه الكريم، وشاهدةُ صدقٍ في واقعِ الكونِ والحياةِ، يهدي بها اللهُ عبادَهُ إلى وحدانيته وألوهيته وأسمائه وصفاته جلَّ وعلا.

وأخيرًا فإنني أطمح أن يراجع القارئُ الكريم هذه الكتبَ والمواقعَ المهمة لما فيها من حقائق عظيمة:

كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، لموريس بوكاي العالم الفرنسي الذي أسلم لما تجلى له موافقة حقائق العلم للقرآن.

وكذلك مؤلفات الشيخ العالم عبد المجيد الزنداني.

http://www.noorag.org

وكذلك الموقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهو موقع متعدد اللغات، وتحت رعاية رابطة العالم الإسلامي، ويحتوي عددًا كبيرًا من البحوث والدراسات المتخصصة.

http://www.٥٥a.net/firas/arabic

وكذلك موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة؛ موقع متعدد اللغات، ويحتوي موضوعات كثيرة ومتجددة.

* * *

الخصيصة السادسة:

دين الأخلاق

الإسلامُ دينُ الأخلاقِ، فما من حُكمٍ شرعيٍّ في دينِ الإسلام إلا ويلبِّي مقصدًا خُلُقيًّا حميدًا للإنسان، ولهذا كان قول نبينا محمد ﷺ: «**إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأَخْلاقِ**»[(١)]، وقوله: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وأَقْرَبِكُمْ مِنّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ؛ أَحاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيامَةِ؛ الثَّرْثارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**. قالوا:يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدّقون، فما المتفيهقون؟ قال: **المُتَكَبِّرُون**»[(٢)]. فالثرثرةُ والتشدقُ والتفيهقُ صفاتٌ ذميمةٌ لما تتضمنه من معنى العُجْبِ بالنفس والردِّ للحق والتعالي على الخلق.

وفي الحديث[(٣)]: «**إِنّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا**».

ثم إن لازم من يتمسكُ بالإسلامِ أن يكونَ حسنَ السلوكِ، ساميَ الخُلُقِ، شريفَ المعاملة، ولقد كان في سيرةِ النبيِّ ﷺ وصحابته الكرام، وسلفِ الأمة، أعظمُ مثالٍ على ذلك المجتمع الأخلاقي المثالي.

واللهُ جل وعلا حين أثنى على نبيه محمد ﷺ، كان ثناؤه سبحانه بأبلغِ وأرفعِ عبارةٍ في قوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وحين يقرأُ المسلمُ القرآنَ العظيم أو يتتبعُ سنةَ رسولِ الله ﷺ يجد أنَّ اللهَ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، (ص:١٠٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨١)، والحاكم في المستدرك (٤٢٢١) وصححه على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم(٢٠١٨).

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل

تعالى يؤكدُ على صفاتِ أهلِ الإيمان، بأنها الصفاتُ الفاضلةُ، ويفصِّل في ذكرِها تفصيلًا يُبين سموَّ أخلاقِ هذا الدينِ ومقاصدِهِ، في صَبْغِ الناسِ بهذه الصبغة الأخلاقية الإلهية السامية، يقول الله جل جلاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون:١-٦].

وقال جل وعلا عن عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٦٨].

وفي سنةِ نبينا محمدٍ ﷺ من النصوصِ ما يؤكدُ على هذه الحقيقةِ ويجعلُها وصفًا رئيسًا من صفات المؤمنين: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ؛ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ؛ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١). ويقول ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِه**»(٢).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٣١٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير رقم(٤٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم(١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم(٤٠).

وهو دينُ **الصدقِ** كما قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

وهو دينُ **الصبرِ**؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

وهو دينُ **التسامحِ والعفوِ**؛ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وهو دينُ **التعاونِ والنصرةِ**؛ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢].

وهو دينُ **الوفاءِ**؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:١]. إلى غير ذلك من الآياتِ والأحاديثِ الكثيرةِ التي تحثُّ على الأخلاقِ الفاضلةِ.

وتتجلَّى هذه الخصيصةُ في أحكامِ هذا الدين وتفصيلاتِ شريعةِ الله تعالى، فالصلاةُ تنهى عن الفحشاءِ والمنكر، والزكاةُ فيها التربيةُ على سخاءِ النفسِ وبذلها، وفي الصومِ تَلَمُّسُ أحوالِ الفقراءِ والشعورُ بحاجتهم، وفي الحجِّ نهيٌ عن الرَفَثِ والفسوق والجدال والصخب، وتدريبُ النفسِ على الصبرِ والإيثار، والمعاملاتُ بين الناسِ تقومُ على الوضوحِ والمصلحةِ المتبادلة، وتذمُّ الأحكامُ الشرعيةُ الأنانيةَ والمكرَ والغشَّ والخداعَ والاحتكارَ وكلَّ ما فيه جهالةٌ وغَرَرٌ.

ثم إن من دلائلِ أخلاقيةِ الإسلام، أن المسلمَ وهو في أقسى المواقفِ وأشدِّ الأوقاتِ في الحربِ وحين يُطرب ضجيجُ السلاح أسماعَ الأبطال، وحين تُحملُ الأرواحُ على الأَكفِّ، وحين يتقابل المسلمُ مع الكافرِ في الحربِ، تتجلى أخلاقيةُ الإسلامُ، ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠].

ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

ولقد كان من سننِ رسولِ الله ﷺ ووصاياه لمن يبعثُهم من جندِ الإسلامِ، ما فيه سموٌّ أخلاقِ هذا الدين؛ فقد كان ﷺ إذا بعث أميرًا على جيشٍ أو سريةٍ أوصاه في خاصته بتقوى الله ومَنْ معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغْزُوا بِاسْمِ الله، فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا ولا تَغْدِرُوا وَلا تُمَثِّلوا وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...**» الحديث[1].

فهذه لمحةٌ سريعةٌ لهذه الخصيصةِ التي يمتازُ بها دينُ الإسلامِ عما سواه من المناهج الأخرى.

* * *

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم(١٧٣١).